اللغة وعلاقتها بالتواصل اللساني

Language and its relationship to linguistic communication

فلاني محمد القاسم[1]

1 جامعة أحمد دراية أدرار الجزائر/k.foulani@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/08/12 تاريخ القبول:2021/08/27 تاريخ النشر:2021/12/26

ملخص: اللغة والتواصل عمليتان أساسيتان في حياتنا اليومية بفضلهما نستطيع التحدث والكتابة والتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا الداخلية،فهما عنصران أساسيان مترابطان ترابطا وثيقا باعتبار أن اللغة هي الأداة والتواصل هو عملية نقل الرسائل والمعلومات من شخص لآخر وضمن هذه الورقة البحثية أردنا الحديث عن مفهوم اللغة والتواصل وإثبات العلاقة اللسانية بينهما من خلال الوقوف على بعض خصائصهما وتأكيد الترابط الوثيق بينهما. فاللغة نتاج اجتماعي وقانون مشترك داخل الجماعة اللغوية، بل هي مؤسسة اجتماعية ونظام متجانس وموحد من الرموز الصوتية، أما التواصل فهو تفاعل بين طرفين " المتكلم والمستمع" يعبر على قدر كبير من القيم الإنسانية والاجتماعية، وظيفته اللغة.

الكلمات المفتاحية : اللغة، التواصل ، الكلام ، اللسانيات

Abstract: Language and communication are two basic processes in our daily life, thanks to which we can speak, write, and express our inner feelings and emotions. between them by identifying some of their characteristics and confirming the close interrelationship between them. Language is a social product and a common law within the linguistic community. Rather, it is a social institution and a homogeneous and unified system of phonetic symbols. As for communication, it is an interaction between two parties, the "speaker and the listener" that expresses a great deal of human and social values, whose function is language.

Keywords: language - communication- Speech – linguistics

المرسل المؤلف: فلاني محمد القاسم[1]

k.foulani@univ-adrar.edu.dz

تمهيد:

اللغة والكلام عنصران أساسيان في جل الدراسة اللغوية و فرعان من فروع التواصل اللساني، تعمق الباحثون والدارسون في دراستهما والبحث عن عوامل الترابط بينهما من حيث المفهوم والخصائص والمكانة، إذ باللغة والكلام كان التواصل و بهما كان تعدد اللهجات، وللغوص في ثنايا هذا الموضوع كانت هذه الورقة البحثية تحاول الإجابة على الإشكال التالي:

1- ما مفهوم اللغة وما خصائصها؟

2- ما علاقة التواصل باللسانيات ؟

3- هل للهجات علاقة بالتواصل اللساني؟

1. مفهوم اللغة :

اللغة وسيلة اتصال بين البشر وأساس التفاهم بينهم, بل هي أبرز المظاهر الحضارية لدى البشرية، فهي البيان المعبر عما بالوجدان، والملكة الإنسانية التي تتميز عن منطق وإشارة الحيوان، كما أنها "وسيلة من الوسائل الأساسية لحدوث عملية التواصل بين البشر"(عمر، 2002) ، بل هي كما عرفها ابن جني وانتهج نهجه جل المفكرين واللغويين "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (جني).

غير أن هذا المفهوم تغير بمرور الزمن واعتبره البعض تعريفا تقليديا يفسر التواصل الحادث بين البشر،ولا يشير إلى حقيقة هذا التواصل باعتبار أن اللغة هي وسيلة للتعبير عن الأفكار والعواطف والرغبات بل هي "التعبير عن الأفكار بواسطة الأصوات الكلامية المؤلفة في كلمات" (محمد أحمد، مقدمة لدراسة فقه اللغة، 1966)، وتظل اللغة من الأمور الطبيعية المألوفة التي يمارسها جميع البشر على اختلاف أجناسهم، فهي لا تتطلب جهدا ولا تفكيرا، يستعملها الولد بيسر وهي عنده عملية بسيطة كالمشي والأكل،بل هي "ظاهرة بسيكولوجية اجتماعية مكتسبة لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد تتألف من مجموعة رموز صوتية لغوية، تكتسب عن طريق الاختبار للمعاني المقررة في الذهن وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل . (سليمان، 2000)

"اللغة وعلاقتها بالتواصل اللساني"

وتعتبر اللغة أيضا أداة للتعبير عن الفكر بل هي الفكر ذاته أو هي أساس الفكر وطريق الإنسان للفكر، فنحن لا نستطيع التفكير بدون كلمات ولا يمكن أن ننكر أن اللغة أداة للتعبير عن الفكر أحيانا فالمعلم يعبر عن أفكاره بواسطة اللغة في مدرسته والعلم في مخبره والنائب في برلمانه والصحفي في مكتبه فجميع هؤلاء يعبرون عن الفكر باللغة غير أن حصر اللغة بأنها أداة للتعبير عن الفكر أمر بعيد عن الواقع، لأن اللغة قد تكون تعبيرا عن الشعور والعاطفة، منشأها بعيدا عن الفكر، والواقع أن اللغة أكثر من مجموعة أصوات وأكثر من أن تكون أداة للفكر أو التعبير عن العاطفة، فاللغة جزءا من كيان بسيكولوجي روحي، وهي " عملية فيزيائية اجتماعية بسيكولوجية على غاية من التعقيد وتتناول أربعة أمور أساسية لتمام العملية المعقدة وهي :

01- المتكلم

02-المخاطب

03- أشياء أو فكر يتكلم عنها

04- كلمات أو مفردات وهي مجموعة فونيمات لها في الذهن صورة معينة. (فريحة، 1981) ويعرفها العالم السويسري فردينان دي سوسير على أنها تنظيم فيقول " اللغة تنظيم من الإشارات المفارقة، وتعني كلمة تنظيم مجموعة قضايا التي تحدد ضمن اللغة استعمال الأصوات والصيغ والتراكيب وأساليب التعبير النحوية والمعجمية. (زكريا، علم اللغة الحديث، 1984)وفي ذلك إشارة على أن هذا التنظيم لا تتم دراسته إلا من حيث كونه يعمل كمجموعة ولا يكون لهذه العناصر أي قيمة أو دلالة إلا في تكوينها لمجموعة من العناصر بحيث يشبه دي سوسير اللغة بلعبة الشطرنج فيقول :"إذا استبدلت قطع اللعب الخشبية بقطع لعب عاجية مثلا، لا يكون لهذا التغيير الحاصل أي تأثير في التنظيم بينما إذا أنقصت عدد القطع أو زدتها يكون لهذا التغيير تأثيرا عميقا في قواعد اللعبة" ما يؤكد أن اللغة في الأساس شكلا وليست مادة وما يستنتج من كلام دي سوسير أن بنية اللغة لا يلحقها أي تغيير إذا أعيد وضع النصوص اللغوية بكتابة آلية أو كهربائية ممغنطة مثلا بدلا من وضعها بكتابة الأحرف الأبجدية العادية، وخير دليل على قيام اللغة بصورة مستقلة عن الأصوات اللغوية نلاحظه في لغة الحركات اليدوية التي يتكلمها الصم والبكم، "فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام

سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة نظام هذه الحركة، والكلام يحسن بالسمع نطقا والبصر كتابة، واللغة تفهم بتأمل في الكلام، فالذي نقوله أو نكتبه كلام، والذي نقول بحسبه ونكتب بحسبه هو اللغة فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد وفقه اللغة والمعجم ونحوها، والكلام قد يحدث أن يكون عملا فرديا ولكن اللغة لا تكون إلا جماعية (المسدي، 1984)، وهذا ماعرف عند دي سوسير بالتمييز بين اللغة والكلام في حين يرى عالم الانسانيات الأمريكي اللغوي إدوارد سابير(1884– 1939) اللغة على أنها نظام يسعى لتحقيق أهداف مجتمعية بحثة فيقول:"اللغة وسيلة إنسانية خالصة، وغير غريزية إطلاقا لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التي تصدر بطريقة إرادية " (محمد أحمد، 1966)، ولقد كان للبولندي مالينوفسكي(1884– 1942) المتخصص في علم الإنسان فضل كبير في تغيير النظر للغة كوظيفة أساسية للتواصل ، فقد أدرك عندما كان يدرس بعض المجتمعات التي جرى الاصطلاح على تسميتها بالمجتمعات البدائية أو الفطرية أو الوحشية، أن دراسته لن تصح دون معرفة الوظيفة التي تقوم بها اللغة في المجتمع، ومن هنا كانت نظريته الهامة في اللغة، والتي بينت عوامل تطور النظر إلى علم اللغة والتي من خلالها توصل إلى أن وظيفة اللغة ليست أنها مجرد وسيلة للتفاهم أو التواصل، بل إن "وظيفتها تكمن في أنها حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنتظم، فهي جزء من السلوك الإنساني، وضرب من العمل، وليس أداة عاكسة للفكر، واستعمال اللغة على هذه الصورة ليس قاصر على الجماعات البدائية بل أنه يلاحظ في أرقى الجماعات تمدنا" (محمد أحمد، مقدمة لدراسة فقه اللغة، 1966).

أنما توصل إليه مالينوفسكي على أن اللغة هي وظيفة يعد امتدادا وتكملة لما توصل إليه بن جني بقوله أن اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، وماأقره دي سوسير على أنها نظام من العلامات، وأثبته سابير على أن اللغة وسيلة إنسانية خالصة، فهي بذلك تحمل عدة معان مايدل على مدى الاهتمام الواسع الذي أولاه الإنسان لدراسة اللغة منذ القدم حتى يومنا هذا.

2-خصائص اللغة :

تعتبر اللغة العنصر الأساسي في كل دراسة لغوية باعتبارها الأصل في التواصل وأساس التفاهم بين الأفراد فهي لا تختلف عن باقي اللغات بل لها سمات وخصائص تميزها عن غيرها من بين هذه الخصائص: (يول، 1999)

01 - الإزاحة: Displacement

وهي خاصية تتيح لمستعملي اللغة التعبير عن الأشياء والأحداث غير الموجودة، في البيئة الحالية، فمن الضروري أن تستعمل هذه الخاصية لربط أحداث وقعت في الزمن البعيد أو المكان النائي، كما أنها الخاصية التي تتيح للإنسان وحده دون غيره من المخلوقات أن يخلق الخيال، وأن يتصور عوالم المستقبل.

02- الاعتباطية : Arbitrariness

ويقصد بها عدم وجود مناسبة طبيعية بين الصيغة اللغوية والمعنى فمثلا:"كلب" فهذه الصيغة لا علاقة لها بذلك الشيء الرباعي الأرجل، كما أن تشومسكي في هذا الصدد يرى أن "هذه الفوارق الظاهرية للغات تخضع لقوانيين خاصة بكل واحدة منها خضوعها لقوانيين عامة كونية" (المسدي، اللسانيات من خلال النصوص، 1984)

03- النتاجية : Productivity

وهي تلك السمة التي تتميز بها اللغات والتي بها تنتج دائما عبارات جديدة، فالطفل مثلا الذي يتعلم اللغة يجتهد دائما لإنتاج عبارات جديدة لم يسمعها من قبل، ولذلك فإن الناطقين يستغلون قدراتهم اللغوية لإنتاج تعابير وجمل جديدة، وهذا مايطلق عليه بالاضافة للإنتاجية الإبداعية، اللانهائية المطلقة. (يول، معرفة اللغة)

04- التوصيل الثقافي : Cultural Transmission

التواصل الثقافي بين الأجيال عامل مهم في اكتساب اللغة بعيدا الصفات الوراثية التي تكسبك من الأسرة أو الوالدين كلون الشعر والعينين ولكنها لا تكسبك بالضرورة لغتهم التي يتواصلون بها .

05- التحديدية :Discreteness

تعامل الأصوات في اللغة على أنها محددة دلاليا، فهي تستعمل على الوجه الذي تتحدد به الدلالة ، فعلى سبيل المثال ليس الفرق بين b و p كبير ولكن عند استعمال هذه الأصوات في لغة ما فإن الاستعمال يكون بتحديد دلالة الاستعمال الواحدة عن الأخرى،ويتضح الفرق بينهما في الانجليزية في تحديد دلالة بعض الالفاظ مثال:
pack و back وهي ما يصطلح عليها بالتحديدية .

06- الثنائية: Duality

وتعني تنظيم اللغة في مستويين، أو في طبقتين في آن واحد، ويطلق عليها النطق الثنائي وهي مظهر من مظاهر الاقتصادية في لغة الإنسان، وذلك لأنه بمجموعة محدودة من الأصوات بعينها يمكننا إنتاج عدد هائل من الكلمات التي يتحدد لكل معناها.

2-التواصل

إذا كانت اللغة في حقيقتها هي أداة يستعملها الإنسان لإتمام عملية التواصل، وإذا كانت الحياة البشرية تقوم برمتها على الاتصال أي على العلاقات الإنسانية بما في ذلك العلاقة العاطفية والدينية والفكرية وإذا قلنا على هذا الاتصال أنه عبارة عن عملية إرسال واستقبال رموز أو رسائل سواء كانت هذه الرموز شفهية ، كتابية، لفظية، أو غير لفظية، ويعتبر الاتصال أساس التفاعل الاجتماعي الذي يؤدي إلى نشوء علاقات متنوعة ومتعددة في مختلف المواقف سواء كان ذلك بين شخصين أو أكثر فما هو التواصل؟ وكيف تأسست نظريته؟ وماهي العوامل التي تقوم عليها؟

"اللغة وعلاقتها بالتواصل اللساني"

الاتصال من الوسائل التي تدخل في تصميم الحياة البشرية منذ أن وجد الإنسان على الأرض وفي المجتمعات، ووسائله موجودة في أكثر مناحي حياة الإنسان خصوصية، بحيث يتواصل الناس فيما بينهم بطرائق مختلفة إذ تؤدي النظرات معاني لا تستطيع الكلمات تأديتها إضافة إلى ماقد تعنيه اللمسة ومايعجز اللسان عن الإفصاح به، فالاتصال يعني" التواصل والإبلاغ والاطلاع والإخبار وباللغة الفرنسية، التي تشير إلى إقامة علاقة مع شخص ما أو شيء ما فهي عملية يتفاعل بها المراسلون والمستقبلون للرسائل في سياقات اجتماعية معينة (استيتة، 2005) ،ومنه اللغة تواصل لا اتصال فقط، إذ يتضح أن هناك فرق بين الاتصال والتواصل وذلك يكمن بأن هناك نية ومقصد لكل واحد منهما فالفرق بينهما كبير، إذ أن لاتصال يكفي لحدوثه إرسال من طرف واحد، إضافة على ذلك نجد التواصل ينطوي على قدر كبير من القيم الاجتماعية والإنسانية وهذا مايؤكد اختلافهما جملة وتفصيلا ولكي نعبر عن مشاعرنا نعطي ونأخذ ونرسل ونستقبل "فالمرسل باثا ومستقبلا وكذلك الحال بالنسبة للمستقبل ، ولا تستقيم الحياة بباث من طرف واحد بل لابد من التبادل ويكون في هذه الحالة التواصل لا الاتصال وحده سبيل ذلك، وتكون اللغة هي الأداة" (بلعيد) ، فهو العملية التي تتحقق بين البشر بواسطة الفعل الكلامي وفق ثلاثة عناصر هي الدال والمدلول والقصد حتى تتحقق دائرة الكلام.

ويعرفه شارل كولي (1864 – 1929): على أنه "الميكانيزم الذي بواسطته توجد العلاقات الإنسانية وتتطور، إنه يتضمن رموز الذهن مع وسائل تبليغها عبر المجال وتعزيزها في الزمان ويتضمن أيضا الإشارات وتعابير الوجه وهيئات الجسم والحركات ونبرة الصوت والكلمات والكتابات والمطبوعات والقطارات والتلغراف والتلفزيون وكل مايشمله آخرها وما تم من الاكتشافات في المكان والزمان" (اسليماني، 2005).

ويعرفه كمال بكداش على أنه كل انتقال للرسائل مابين عمليتي الإرسال والاستقبال، وهاتان العمليتان لهما تغيرات معينة في الطاقة الصوتية والسمعية ، تهدف إلى التأثير على مدلولات معينة من أفكار أو أشياء ويتحدد معناها بالتواضع أو الاصطلاح المسبق مابين المرسل والمتلقي" (المسدي، اللسانيات من خلال النصوص) ويظل التواصل عملية يقوم بها شخصان فينطلق الأول الذي هو المتكلم من دلالات ومعان موجودة في ذهنه فيحرك أوتارا

معينة في حلقه فتصدر إشارات صوتية تنقل هذه الإشارات عبر الهواء فيلتقطها الشخص الثاني الذي هو المستمع عبر جهازه السمعي إلى أن تصل إلى ذهنه،فالإنسان المنتفع من اللغة يمتلك مهارتي التكلم والاستماع في آن واحد حيث يقضي التواصل الإنساني عادة الانتقال بصورة متواصلة من متكلم اللغة إلى مستمع اللغة، وبهذا فالمتكلم هنا يؤدي دور المرسل في حين يؤدي المستمع دور الملتقط في عملية التواصل، ومما لاشك فيه أن الاستماع والتلفظ يرتبطان ببعضهما البعض رغم تباينهما من خلال تعاملهما مع الإشارة الصوتية الواحدة إذ يتوافق في الدماغ النطق بالأصوات ويسمى هذا التوافق "بالارتباط الصوتي المتبادل "(اسليماني، التواصل العربي).

وللتلفظ أهمية أساسية في مجال الإرسال والاستماع تكمن في مجال الالتقاط ، وذلك للتوافق الحاصل بين الدلالات في ذهن المستمع وفي ذهن المتكلم أو ما يعرف بالارتباط الدلالي المتبادل والذي يلخصه المخطط التالي (زكريا، الألسنية علم اللغة الحديث):

عملية التواصل عند الأفراد

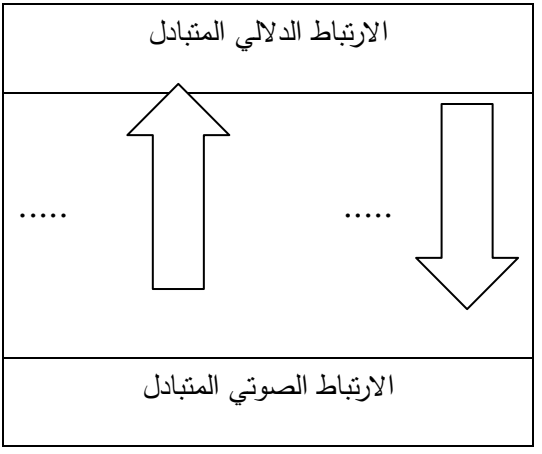

4- نشأة نظرية التواصل :

لقد انطلقت الدراسات والبحوث المتخصصة في نظرية التواصل في الأربعينيات من القرن الماضي وبالضبط بالولايات المتحدة الامريكية حيث ساهمت أبحاث متنوعة في مجالات متعددة كالفيزياء والرياضيات في بلورة نظرية الأنظمة التواصلية وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأبحاث سبقت بدراسات بدأت منذ نهاية القرن 19 ومن بين هذه النظريات "النظرية الرياضية للتواصل والتي ظهرت على يد الرياضيين كلود شانون (1916-2001)، ووارين ويفر (1894-1978)، والتي تضمنت " مفهوم احتمالية الحدث وإمكانية قياس هذه الاحتمالية،حيث شكل التواصل اللساني فرعا من الفروع المدروسة فيها" (الغزالي، 2003).

ولقد أصبحت اللسانيات التواصلية أحد فروع اللسانيات الاجتماعية، وارتقت إلى أن تكون من أهم العلوم الإنسانية برمتها، إذ تقوم هذه اللسانيات التواصلية على منظومة ثلاثية الأقطار، "أولها المرسل باعتباره صاحب المبادأة في التواصل، وثانيها المستقبل باعتباره هدفا مباشرا للرسالة، وثالثها المجتمع باعتباره مصدر العلاقة بين أطراف التواصل وباعتباره مصدر النظام الذي تبنى على أساسه هذه العملية" (استيتية) ، وبفض اشتراك علماء الرياضيات ومهندسي التواصل تمت علميا تحديد دقيق لمفاهيم عدة وحدود كثيرة لنظرية التواصل، إذ أن تحديد موضوع هذه النظرية باعتبارها بحثا تأمليا في المميزات الخاصة لكل نظام من العلامات، مستعمل بين كائنين يهدف من ورائه إلى غايات تواصلية إذ يقتضي هذا التعريف أطرافا مكونة تؤثر في كل سيرورة تواصلية، تبدأ من السنن" المشترك بين المتكلمين إلى قناة لعناصرها السياقية والمضمونية وقطبي اتصال وإبلاغ الرسالة لعناصرها السياقية والمضمونية وإن كل طرف من الأطراف يأخذ تعريفه انطلاقا rالتواصل المحوريين هما : المرسل والمتلقي من نمط التواصل أي من طبيعته وشكله اللغوي وغير اللغوي" (الغزالي، اللسانيات ونظرية التواصل).

والتواصل حتما وفق ماتوصلت إليه الدراسات يعتمد على عدد من الفونيمات والمورفيمات في إنشاء وتكوين أي لغة طبيعية نستطيع من خلالها تمييز ثلاث مراحل رئيسية تجسد وضعية التواصل انطلاقا من اللحظة التي تصل فيها الرسالة إلى المستمع هذه المراحل تتمثل في :(المسدي، اللسانيات من خلال النصوص)

1- المرحلة الأولى: وهي مرحلة تكوين الرسالة وإطلاقها أصواتا وهي تخص المتكلم وتسمى المرحلة الرئيسية.

2- المرحلة الثانية : وهي تلك التي تنتقل فيها الأمواج الصوتية عبر الهواء إلى أن تدق طبلة الأذن عند المستمع ثم تنقل إلى دماغة.

3- المرحلة الثالثة : فهي تتعلق بالمستمع وكيف يعيد تركيب الرسالة من الأصوات التي تصله إلى المعنى الذي تحمله.

فالمتكلم في مرحلته الأولى يعتبر في مهمة اختيار المعاني وجعلها في قوالب جاهزة معتمدا في ذلك على رصيده اللغوي، فالفكرة لابد لها من قالب لغوي يعبر عنها، عندها تصبح الرسالة جاهزة لدى المتكلم الذي يعمل على البوح بها وإصدارها.

أما في مرحلته الثانية فيعتبر الدماغ المحرك الأساسي فيها فهو يقوم بإصدار الأوامر إلى أجهزة النطق المختلفة لكي تؤدي الحركات المعينة اللازمة لنطق هذه الجملة.

وفي المرحلة الأخيرة تقوم أجهزة النطق بإصدار الأصوات المطلوبة ويكون هنا دور المتكلم قد انتهى.

5- علاقة التواصل باللسانيات :

يرتبط التواصل بعدة علوم ومعارف يمكن الوقوف عليها ودراستها من أجل تحديد علاقتها به، فعلوم التسيير والعلاقات العامة بالإضافة إلى التربيتين العامة والخاصة وعلم التسويق والشبكة الإعلامية وتقنيات التوصل، ونظريات الإخبار والإعلام هي معارف ترتبط ارتباطا وثيقا بنظرية التواصل، هذا الترابط ينتج تواصلا سيميائي يتقسم إلى تواصل لساني وآخر غير لساني.

فالتواصل اللساني ينحصر في عملية التواصل التي تجري بين البشر بواسطة الفعل الكلامي، ولكي يتضح هذا التواصل أكثر، يجب استعراض ثلاثة مفاهيم لكل من دي سوسير وبلوفيد ولشينون وويفر فهي تقد صورة متكاملة عنه، فالتواصل لدي سوسير هو حدث اجتماعي يلاحظ في الفعل الكلامي "(ابراهيم، 1996) ،ولتحقيق مايسميه هذا الأخير بدائرة الكلام لابد من وجود جماعة أو شخصين على الأقل مثال ذلك "إذا كان الحوار يدور بين

شخصين وهما زيد وعمر فإن دائرة الكلام تولد في ذهن زيد حيث تتحد المفاهيم التي هي عبارة عن أحداث واعية بالرموز اللسانية أو بالصورة السمعية، فيحدث في ذهن زيد شيئا يسمى انفجارا يصدر أوامر إلى النطق فيحدث هذا أصواتا ملائمة لما في هذا الذهن من المفاهيم فتنتقل هذه الأصوات عبر موجات صوتية من فم زيد إلى أذن عمرو ثم بعد ذلك إلى ذهنه فإذا أجاب عمرو فإن فعلا نطقيا ثانيا يولد ويتم التواصل في هذه المرة من ذهن عمرو إلى فمه ثم بعد ذلك إلى أذن زيد فذهنه، وهكذا دواليك مادام الحوار جاري بينهما" (السرغيني، 1988).

والتواصل لدى بلومفيد يتلخص في تحليله للحوار الذي دار بين "جاك" و"جيل" اللذين كانا يتجولان فشعرت جيل حين رأت التفاحة بشيء ما ترجمه اللفظ الذي صدر عن حنجرتها ولسانها وشفتيها تعبيرا عما أحست به "نط جاك على الحاجز ثم تسلق الشجرة فقطف التفاحة وقدمها للفتاة، فما كان من هذه الأخيرة إلا أن إلتهمتها، فشرح بلومفيد ذلك ونظر إليه نظرة سلوكية ولخصه في ثلاثة لحظات :

1- الوضعية التي سبقت الكلام

2- الكلام.

3- الوضعية التي تلت فعل الكلام (ابراهيم، معرفة الآخر)

أما التواصل لدى شينون وويفر فكل لواحد منهما نظاما عاما للتواصل يؤكد ناحية أساسية هي الطريقة التي ينتقل بها الخبر، بحيث ينطلق بلومفيد من مصدر الأخبار إلى الباث عن طريق الرسالة التي ترسل إلى المتلقي الذي يعالج تلك الرسالة فيحولها إلى علامة صالحة للانتقال عبر قناة الإرسال إلى علامة وحين تلتقط تلك العلامات في مكان الالتقاط وهذا يعني تحويلها من شفرات إلى حالتها الطبيعية وبذلك تصبح مؤهلة لتصل إلى غايتها المنشودة (ابراهيم، معرفة الآخر).

وتظل اللغة في نظر علماء الألسنية محورا أساسيا في الربط بين المتكلم والمستمع في تؤدي وظيفة التواصل عبر عناصر أساسية تتمثل في الباعث أو المرسل والمتلقي أو المستقبل الذي يستقبل الرسالة والتي تعتبر العنصر الأساسي الثالث في إتمام العملية التواصلية وبذلك يقول رومان جاكبسون "إن اللغة ذات بعد وظيفي وأن لها ستة عناصر وستة وظائف ، المرسل

وظيفة انفعالية، والمرسل إليه وظيفة تأثيرية والرسالة وظيفة جمالية، والمرجع وظيفة مرجعية، والقناة وظيفتها حفاظية" (حمداوي، 2008)

6- اختلاف الألسنة وعلاقته بالتواصل :

إن لاختلاف الألسنة أثر بالغ في ظهور مايعرف باللهجات والتواصل بين العرب والأعاجم، تواصل نتج عنه تعدد اللهجات بين أفراد المجتمع ، بغية التواصل بينهم مما أوقع الكثير من الناس في لبس كبير أدى إلى ظهور ما يعرف بالعامية أو الدارجة والتي كان لها الأثر البالغ على اللغة الفصحى واستعمالها.

وإذا كان لابد من التفريق بين اللغة واللهجة انطلاقا مما وقع فيه العديد من الباحثين من اختلاف في تحديد مفهوم دقيق للهجة فهناك من اعتبرها لغة من اللغات وهناك من نحى منحا آخر غير ذلك.

فاللهجة طريقة معينة في الاستعمال اللغوي توجد في بيئة خاصة من بيئات اللغة الواحدة فهي" نمط من الأنماط التي تتباين داخل اللغة الواحدة، يتميز عن غيره من الأنماط داخل نفس اللغة بجملة من الخصائص اللغوية ويشترك معها في جملة من الخصائص اللغوية العامة" (داود، 2001) ، ويعرفها ابراهيم أنيس بأنها" مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة وتشترك في هذه الصفات أفراد هذه البيئة" (أنيس، 1973).

واللهجة بإسكان الهاء أو فتحها لها معان عدة منها: (الدين، 2003)

01- طرف اللسان

02- اللسان

03- جرس الكلام

04- اللغة التي جبل عليها الإنسان..... وسميت اللهجة لهجة لأن كلا يلهج بلغته.

في حين يرى بعض المحدثين بأن اللهجة هي مجموعة من العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، وتتسم بخصائص بارزة تجعلها تستغني عن أصلها وتفي بحاجة الجماعة التي تتحدث بها مما يمكن لنا أن نسميها لغة، وذلك حين تتضح قواعدها ونظمها الصوتية والصرفية والتركيبية كاللهجة الجزائرية والمصرية مثلا إذ

يطلق عليها اسم لغات باعتبار وفائها بحاجة مجتمعاتها.

ولقد أطلق الباحثون في اللهجات على البيئة اللغوية الواحدة، اسم "الجزيرة اللغوي"وهم يقصدون بهذا المصطلح البيئة الجغرافية التي تملك صفات وخصائص لغوية ، تنفرد بها عن البيئة المحيطة بها" (أنيس، في اللهجات العربية) ، نشأتها وتكونها يعود إلى عاملين رئيسين: (أنيس، في اللهجات العربية)

1- الانعزال بين بيئات الشعب الواحد.

2- الصراع اللغوي نتيجة غزو أو هجرات.

كما لايمكن تحديد اللهجة إلا بثلاثة عوامل :(مرتاض، 2003)

أ- عامل متصل بالخطاب التواصلي الشفهي الذي تجسده طبقات اجتماعية متباينة في مستوياتها ووظائفها

ب- عامل مرتبط بموقع جغرافي منعزل حينا ومتداخل حينا آخر.

ج- عامل يعود إلى المنظومة اللسانية نفسها.

فتأنيث مايذكر وتذكير مايؤنث ، ورفع ما ينصب ، ونصب مايرفع ، وتوظيف الأصوات المتقاربة في صورها السمعية كما هو الشأن بين الظاء والضاد والذال أو الصاد والسين والمتباينة في وظائفها الدلالية لهجة، يدل في الأخير أن إدراك البعد اللهجي أقرب وأيسر من إدراك البعد اللغوي كما لا يمكن لهذا الأخير أن يدل على الأول، بينما البعد اللهجي يمكن أن يلقي الضوء على ماهية اللغة بالنظر إلى افتتان الناس بهذه الأخيرة واهتمامهم بأكثر من اللهجة.

كما اهتم القدماء بجمع اللهجات المختلفة وبذلوا في سبيل ذلك جهودا من أجل تدوينها وخاصة تلك اللهجات التي وردت بالقرآن الكريم دون دراستها لغويا، مما وضع الدارسين بين نوعين من اللهجات لهجات اندثرت على أنها لهجات مذمومة، ولهجات استمرت حفظها القرآن من الاندثار على أنها خالية من عنعنة أو كشكشة أو شنشنة بها مثلا يريد الشاعر نيل إعجاب سامعيه ولا يكون موضع سخريتهم"وهكذا نرى أن لغة الشعر على الأقل قد خلت من صفات اللهجات التي اشتهرت بها القبائل وقد خلت من الصفات المحلية للهجات" (أنيس، في اللهجات العربية) ، من هذه اللهجات المذمومة :(داود، العربية وعلم اللغة الحديث)

1- الكشكشة : وهي إبدال الكاف شينا فيقولون : عليش بدلا من عليك وأشهر من تكلم بها قبيلة تميم.

2- الكسكة : وهي زيادة سين بعد كاف المؤنث في حال الوقف فيقولون : منكس بدل منك وأشهر من تكلم بها تميم وربيعة وهوزان ومضر.

3- الشنشنة: وهي إبدال الكاف شينا مطلقة ، فيقولون :لبيش بدلا من لبيك وتنسب إلى اليمن.

4- العنعة: وهي إبدال الهمزة عينا، وتنسب إلى تميم وقيس وأسد ومثالها: عن بدلا من أن

5- الفحفحة: وهي ‘إبدال الحاء عينا فيقولون: عتى بدلا من حتى وتنسب إلى هذيل وثقيف.

6- التلتلة: وهي كسر حرف المضارعة بالفعل المضارع فيقولون :نعلم يشهد وتنسب إلى تميم وقضاعة وقريش .

7- الطمطمانية: وهي إبدال لام التعريف ميما فيقولون: امصيام بدلا من الصيام وتنسب إلى تميم واليمن وحمير وغيرها من اللهجات.

أما اللهجات التي استمرت وعكف الباحثون على دراستها والاهتمام بها فهي تلك اللهجات التي وردت في القرآن الكريم ويعود ذلك إلى عاملين أساسيين هما :(داود، العربية وعلم اللغة الحديث)

1 – قوة الصلة بين اللهجات والقراءات القرآنية حيث كانت القراءات تسير على القبائل المختلفة في عاداتها النطقية.

2- إن من أوثق الشواهد التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة اللهجات هي القراءات القرآنية المشهور منها والشاذ، لأنها تعبر عن الواقع الحي للظواهر الصوتية والصرفية والنحوية للهجات العربية لهذا كانت القراءات القرآنية تصور الاختلافات بين اللهجات .

فاختلاف الألسنة وتعددها إلى لغات ولهجات وفق ماورد في القرآن الكريم هو آية من آيات الله الجارية بين البشر قال تعالى" وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ"(القران الكريم) ،مما جعلها تحظى باهتمام اللغويين الباحثين في علوم القرآن، فبذلوا جهدا في جمعها وتدوينها رغم قلة الشواهد والدراسات

التي يعتمدون عليها في رسم معالم واضحة يظهرون من خلالها مفهوم التواصل وعلاقته باللغة. وخلاصة القول:

1. إن ما يكاد يجمع عليه اللغويون، أن التعريف الشائع للغة هو الذي جاء به ابن جني إذ يقول:"اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".
2. اللغة هي أداة للتواصل بين أفراد المجتمع ، كما أنها أداة للتفكير والتعبير وبذلك فاللغة مؤسسة حضارية وثقافية توحد بين طائفة من الناس في إطار قومي وحضاري.
3. وحدها اللغة وسيلة التواصل ، وأن لها من الخصائص والظواهر اللغوية ما يجعلها اشتقاقية قابلة للإبدال والتداخل والتركيب.
4. اختلاف اللهجات وتعددها يبرز عدة مظاهر كلامية مختلفة تشتمل على مستويات بحثية عديدة تهتم بها اللغة كالمستوى الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.
5. التواصل عملية تجري بين الأفراد، تهدف إلى تحقيق دائرة الكلام انطلاقا من الفعل الكلامي الناتج عن العلاقة الاجتماعية بين الأفراد.
6. العوامل الاجتماعية والجغرافية والسياسية لها دور بارز في نشأة اللهجات كما للعلم والثقافة دور في تكوين شخصية الإنسان نفسيا ولغويا وعقليا.
7. اللغة هي واسطة لفظية تتدخل في تحديد علاقة الفرد بمجتمعه، يستخدمها في التعبير عن آرائه وأفكاره وانفعالاته، وتظهر التكامل الحاصل بينهما.
8. اللسانيات التواصلية تقوم على منظومة ثلاثية الأبعاد هي: المرسل، المستقبل،المجتمع.

فاللغة وسيلة تحتوى على مجموعة من الحروف والكلمات يعبر بها الفرد عن أفكاره في حين التواصل عملية أشمل وأوسع يعمل على ترجمة تلك الأفكار والمشاعر في رسالة ينقلها من فرد لآخر، غير أن تعدد اللغات واختلافها فتح المجال واسعا للباحثين والدارسين للعمل من أجل إثبات العلاقة بين اللغة والتواصل في ضوء اللسانيات الحديثة.

الهوامش:

القرآن الكريم . *سورة الروم الآية 22.*

ابراهيم أنيس. (1973). *في اللهجات العربية*. القاهرة: مطبعة أبناء وهبه حسان.

ابن جني. *الخصائص*. مصر : دار الكتب المصرية .

أبو الفرج محمد أحمد. (1966). *مقدمة لدراسة فقه اللغة* (المجلد 01). بيروت: دار النهضة بيروت.

أحمد مختار عمر. (2002). *أنا واللغة والمجتمع* (المجلد 01). القاهرة: دار عالم الكتب.

العربي اسليماني. (2005). *التواصل العربي* (المجلد 01). الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة.

أنيس فريحة. (1981). *نظريات في اللغة* (المجلد 02). بيروت: دار الكتاب اللبناني.

جميل حمداوي. (2008). اللغة والتواصل التربوي والثقافي مقاربة نفسية وتربوية. *مجلة علوم التربية ، 01*، صفحة 55.

جورج يول. (1999). *معرفة اللغة*. (محمود فراج عبد الحافظ، المترجمون) الاسكندرية : دار الوفاء للطباعة والنشر.

سمير شريف استيتة. (2005). *اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج* (المجلد 01). الأردن: عالم الكتب الحديث.

صالح بلعيد. *دروس في اللسانيات التطبيقية*. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر.

عبد الجليل مرتاض. (2003). *اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي*. وهران: دار الغرب للنشر والتوزيع.

عبد السلام المسدي. (1984). *اللسانيات من خلال النصوص* (المجلد 01). تونس: دار التونسية للنشر والتوزيع.

عبد القادر الغزالي. (2003). *اللسانيات ونظرية التواصل* (المجلد 01). سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع.

عبد الله ابراهيم وآخرون. (1996). *معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة* (المجلد 01). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.

عصام نور الدين. (2003). *محاضرات في فقه اللغة* (المجلد 01). بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.

محمد أحمد أبو الفرج. (1966). *مقدمة لدراسة فقه اللغة* (المجلد 01). بيروت: دار النهضة.

محمد السرغيني. (1988). *محاضرات في السميولوجيا* (المجلد 01). الدار البيضاء: دار الثقافة.

محمد محمد داود. (2001). *العربية وعلم اللغة الحديث*. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

ميشال زكريا. (1980). *الألسنية علم اللغة الحديث* (المجلد 01). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

نايف سليمان. (2000). *مستويات اللغة العربية* (المجلد 01). عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.